حملت الزيارة عروضاً متبادلة من الطرفين من دون ان يجري بتّ اي منها مباشرة (الاناضول)

بين البلدين، ولمس وجود تطابق في وجهات النظر في ما يتعلق بالأهداف في سوريا، بما يشمل مكافحة «داعش» وتأسيس «مناطق آمنة». أما جاويش أوغلو، فقد أكد أن الآلية المشتركة بين بلاده والولايات المتحدة حول سوريا ستتضمن مشاركة وزارتي الدفاع في البلدين إلى جانب هيئات أخرى، مضيفاً أن أنقرة تريد التأكد من عبور «الوحدات» الكردية إلى شرق نهر الفرات، لأن «حلول الاستقرار هناك يعتمد على من سيقوم بإدارة المدينة وتأمينها».

وبالنظر إلى التعاون والتنسيق اللصيق بين أنقرة وموسكو، وخاصة في الشمال السوري، ينتظر ما سيخرج عن الجانب الروسي بخصوص «التوافق» الأميركي ـ التركي حول منبج، لا سيما أن المنطقة تقع ضمن منطقة عمليات سلاح الجو الروسي، إلى جانب وجود قوات روسية ـ سورية مشتركة في ريف المدينة الغربي، على خطوط التماس مع القوات التركية وفصائل «درع الفرات». ومن اللافت أن هذا التطور يأتي بالتوازي مع لغة حادة في التصريحات الروسية تجاه واشنطن، بالتوازي مع التصعيد العسكري في ريف دير الزور، شرق نهر الفرات. وفي السياق نفسه، جدّد أمس وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف التأكيد على عدم شرعية الوجود العسكري الأميركي في سوريا، لافتقادها دعوة من الحكومة الشرعية أو تفويضاً من مجلس الأمن. وأوضح أن هذا الوجود يهدف إلى فصل جزء كبير من الأراضي السورية عن باقي البلاد.

وفي موازاة تلك التطورات، فإن من المتوقع أن يبحث مجلس الأمن الدولي، الأسبوع المقبل، مشروع قرار معدّل حول إقرار هدنة في سوريا، والسماح بوصول المساعدات الإنسانية. المشروع الجديد جاء من قبل الكويت والسويد، اللتين أدخلتا تعديلات على المسودة التي طرحت هذا الأسبوع. ونقلت مصادر ديبلوماسية أن التعديلات تضمنت استثناء تنظيمي «داعش» و«جبهة النصرة» من أيّ هدنة مفترضة، وهو ما قد يتيح استمرار المعارك على بعض الجبهات، ويعقّد من عملية مراقبة انتهاكات الهدنة، نظراً إلى تداخل مناطق سيطرة «جبهة النصرة» مع باقي الفصائل المسلحة. ويطالب مشروع القرار بفرض هدنة لمدة 30 يوماً، تلبية لدعوة الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريس، الأسبوع الماضي، على أن يبدأ تسليم المساعدات الإنسانية بعد 48 ساعة من بدء وقف إطلاق النار. كذلك يدعو نص المشروع كل الأطراف إلى رفع الحصار عن كل المناطق، بما في ذلك الغوطة الشرقية ومخيم اليرموك والفوعة وكفريا.

(الأخبار)

الإسرائيلية مقبلة، ليس لأن تل أبيب لا تدرك خطورتها وإمكاناتها في التدحرج نحو مواجهة واسعة تخرج عن حيزها الموضعي، وهي مواجهة لا تريدها، بل لأن التداعيات السلبية لامتناعها وكفّ يدها عن الساحة السورية أكبر بكثير مما يمكنها تحمله. في هذا الإطار، وإمعاناً في الدفع نحو تجاذب الموقف والقرار، جاء تصدي الدفاعات الجوية السورية قبل يومين للطائرات الإسرائيلية التي اقتربت من الحدود في الجولان في طلعات تجسسية هي الأولى من نوعها بعد مواجهة السبت، ولا يبعد أن تكون محاولة «اختبار» جدية القرار السوري بالتصدي، الأمر الذي سيشكل معطى رئيسياً يحضر على طاولة القرار في تل أبيب، يشير إلى أن مستوى المخاطرة والمجازفة سيكون كبير جداً.

ترميم مضحك للصورة

أحد أهم مركبات القدرة الإسرائيلية، إلى جانب الاقتدار العسكري المادي الذي ليس بإمكان أحد إنكاره، هو نظرة الطرف الثاني، أي أعداء تل أبيب، إلى القدرة الإسرائيلية والحيز الذي تحتله هذه النظرة في وعيهم، وهي صورة عملت إسرائيل على زرعها في الوعي الجمعي العربي، وحفرت عميقاً في هذا الوعي إلى

> **وصول الصواريخ السورية إلى تل أبيب يعادل النتيجة المحققة بإسقاط الطائرة**

الحد الذي دفعهم إلى الاعتقاد بأن إسرائيل صاحبة الاقتدار الكامل والشامل على تحقيق مصالحها مهما كانت قدرة أعدائها على صدها أو مواجهتها. هذه الصورة/ الهالة هي التي مكنت الإسرائيلي من تحقيق مصالحه من دون حتى استخدام القوة العسكرية، وضمن معادلة: شاء الإسرائيلي فتحققت مشيئته.

على هذه الخلفية، تداعي صورة إسرائيل وهالتها في أهم مركب من مركبات قدرتها الفعلية أمام أعدائها يفسر الاستماتة إلى حد إثارة الدهشة، وربما أيضاً السخرية في محاولة ترميم صورة الخسارة التي لا يمكن ترميمها، كنتيجة واضحة لا لبس فيها، لمواجهة السبت. وفي ذلك، نورد مثالين اثنين لا أكثر للدلالة على الاستماتة الإسرائيلية، أحدهما صادر على لسان وزير إسرائيلي، والثاني ورد في تقرير إعلامي، وعليهما يمكن القياس.

وزير الشؤون الاستخبارية، وهو عضو «المجلس الوزاري المصغر»، يسرائيل كاتس، أراد ترميم الصورة عبر اختلاق خسائر لحقت بالوجود الإيراني في سوريا، لعله يوازن الخسارة، فقال: «ما حدث في الأمس كان نتيجة سيئة جداً للإيرانيين. إيران ستحتاج إلى وقت طويل جداً لتدرك ما حدث لها، ولتدرك ما منيت به من خسائر!».

المثال الثاني جاء تعليقاً على إسقاط الطائرة الإسرائيلية وورد في تقرير للقناة 13، وفيه: «يجب النظر إلى الصورة بشكل أوسع ومقارنة الخسائر بين الجانبين. سقط لإسرائيل طائرة إف 16 ثمنها يتجاوز 50 مليون دولار، بينما في المقابل سقط لإيران طائرة مسيرة من دون طيار هي الأكثر تطوراً في العالم وثمنها يصل إلى عشرات الملايين من الدولارات». «كل ذلك»، يضيف التقرير العبري، «مع الإشارة إلى أن جزءاً كبيراً من ثمن الطائرة الإسرائيلية يأتي من المساعدة المالية للولايات المتحدة المخصصة سنوياً لإسرائيل، وهذا يظهر بالأرقام الجهة الخاسرة والجهة التي انتصرت!».

صراع على حقول النفط السورية

وليد شرارة

لم تمنع معرفة الولايات المتحدة بوجود «مجموعة فاغنر» العسكرية الخاصة الروسية ضمن قوة مشتركة، تضم الفيلق الخامس من الجيش السوري ولواء الباقر المؤلف من أبناء عشيرة البقارة، وتتقدّم نحو حقل عمر النفطي ومنشأة كونوكو، من الإقدامِ على استهدافها بقصف عنيف جوي وبري استمر لأكثر من ثلاث ساعات.

سبق القصف عملية استطلاع واسعة بالطيران، ما سمح للأميركيين بتحديد هوية الجهات المتقدمة، بما فيها تلك الروسية، ولم يثنِهم ذلك عن استهدافها جميعها. وهو يأتي بعد مهاجمة قاعدة حميميم من قبل طائرة مسيرة «مجهولة الهوية» وإسقاط طائرة روسية بصاروخ لم تنشر تفاصيل عنه وتحوم الشكوك حول الهوية الفعلية للجهة التي أطلقته على الرغم من تبني «هيئة تحرير الشام» للعملية.

تشير هذه التطورات إلى تزايد متدرج، ولكن مطَّرد، في حدة المواجهة الأميركية ـ الروسية على الأرض السورية، والتي تبلغ مع عملية القصف الأخيرة مستوى جديداً.

عدة حروب تحت سقف الحرب الواحدة تُخاض اليوم في سوريا، والوضع يشتدُّ تعقيداً وتشابكاً. فبالإضافة إلى المعركة الدائرة بين الدولة السورية وحلفائها من جهة، وبين فصائل المعارضة ورعاتها الإقليميين والدوليين من جهة أخرى، تتصاعد صراعات لها حيثيتها ومنطقها الخاص، وتتداخل فيها هي الأخرى الأبعاد المحلية بتلك الإقليمية والدولية، بموازاة ارتباطها بالمعركة الأصلية. ففي ظلال المذكورة، تدور مواجهات متفاوتة الاحتدام بين إسرائيل والولايات المتحدة ومحور المقاومة، وبين تركيا ووحدات حماية الشعب الكردية، وبين روسيا والولايات المتحدة.

لم يشتبك الجيشان الروسي والأميركي حتى الآن رسمياً، وبشكل مباشر، في سوريا، أو في أية بقعة أخرى من العالم، وربما لن يشتبكا، لكنهما يتواجهان من خلال حلفاء ظرفيين أو ثابتين ومن خلال المجموعات الرديفة أو ما يسمى المجموعات العسكرية الخاصة. هذه المجموعات الملتبسة الهوية، والمناسبة جداً للطبيعة الهجينة المستجدة للحرب، كثُر الاعتماد عليها في العقدين الماضيين، من قبل الجيش الأميركي قبل الآخرين. فقد ساهمت شركات «بلاك ووتر» و«كاستر باتلز» وعدد كبير غيرها من الشركات المتعاقدة مع الجيش الأميركي، في احتلال العراق والتنكيل بالشعب العراقي والحرب على المقاومة.

روسيا بدورها، باتت تلجأ إلى خدمات المجموعات العسكرية الخاصة، وأبرزها «مجموعة فاغنر». ومع أن هذه المجموعة متعاقدة، وتعمل مع جيوش أخرى غير الجيش الروسي، كالجيش السوداني مثلاً، فإنّ جلّ عملياتها في خارج روسيا، تجري بالتنسيق مع جيشها، باعتبارها قوة رديفة له، أكان الأمر في أوكرانيا أم في سوريا. وليس سراً أنّ علاقة خاصة تجمع مؤسسها، ديمتري أوتكين، العقيد والقائد السابق للواء في الوحدات الخاصة للاستخبارات العسكرية الروسية، بالرئيس فلاديمير بوتين وفريقه.

منذ بداية التدخل الروسي في سوريا، شاركت المجموعة، التي يُقدَّر عدد مقاتليها في سوريا بنحو سبعة آلاف عند مطلع العام الحالي، إلى جانب الجيشين الروسي والسوري في المعارك البارزة في تدمر وريف حماه ودير الزور وفي معارك شمالي شرقي سوريا. عناصر المجموعة من العسكريين السابقين، ويتضمن تسليحها، بالإضافة إلى الأسلحة الخفيفة على أنواعها، دبابات من طراز «T72» ومدرعات وراجمات صواريخ ورشاشات ثقيلة وتتولى وسائل النقل العسكرية الروسية الجوية والبحرية إيصال المقاتلين والأعتدة إلى سوريا.

حاول المسؤولون الأميركيون التقليل من خطورة القصف الجوي الأميركي لقوات روسية رديفة وتداعياته على الساحة السورية/ ولكن خبراء عسكريين، مثل جوزيف تريفيثيك، رأوا أنها بداية لحرب منخفضة التوتر بين روسيا والولايات المتحدة. «روسيا، برأي تريفيثيك، اتخذت قرارها باستخدام القوات الرديفة كأسلوب قليل المخاطر لتحدي التصميم الأميركي، وهو تطوّر مقلق يُنذِر بالمزيد من المناوشات في المستقبل بين الطرفين، خاصة في منطقة دير الزور. ويبدو أن هدف القوات المشتركة المتقدمة كان السيطرة على حقول النفط والغاز الموجودة في منطقة انتشار قوات سوريا الديموقراطية».

طبعاً، لا يشير الخبير إلى أن الولايات المتحدة تستخدم من جهتها «قوات سوريا الديموقراطية» كقوة رديفة تحتل حقول النفط والغاز لتأمين الموارد لمشروع إقامة كيان تحت سيطرتها في شرق الفرات، يسمح بتغطية تموضعها العسكري المرشح للتزايد في الفترة المقبلة نظراً للتطورات الجيواستراتيجية في المنطقة والعالم. وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف، اتهمها بالسعي للبقاء إلى الأبد في سوريا، ولا شك في أنّ هذا البقاء مشروط بنجاح مشروع التقسيم الفعلي مهما كانت مسمياته ومسوغاته، وبالسيطرة على حقول النفط والغاز. لذلك، سيتصاعد الصراع على هذه الحقول.